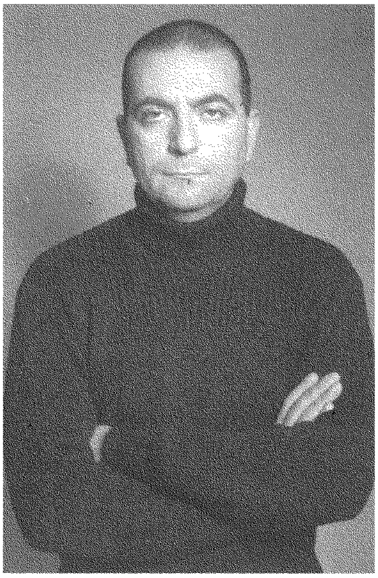

لقاء خاصّ مع المخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد

حاورتْه وقدّمتْ له: سهير أبو عقصة داود

الفن محاولة للخلاص من الإحباطات

رغم أنّه رجلُ الأسئلة، ورغم أنّ الإجابات لا تعنيه كثيراً، إلاّ أنّه على ما يبدو وَجَد أخيراً إجابات لكثير من الأسئلة التي لازمتْه في حياته: لماذا انتمت عائلتُه إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي مع أنّها عادت الصهيونية؟ لماذا يصبح الفردُ انتحاريًّا؟ لماذا عشقُه الأزلي للسينما، وحنينُه إلى الناصرة؟ من الذي يستطيع أن يقود الشعبَ الفلسطيني اليوم؟ ولماذا أصبح مخرجًا مع أنّه حلم بأن يصبح فدائيًّا؟

وُلد المخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد في مدينة الناصرة عامَ ١٩٦١، وتلقّى فيها تعليمَه حتى تخرُّجه من ثانوية البلدية.

سافر إلى هولندا، والتحق بخاله الذي كان يعيش فيها. درس فيها هندسةَ الطيران، حيث تخرّج من كليّة هارلم عامَ ١٩٨٧. عمل عامَيْن مهندسًا، ثم عاد إلى الناصرة. التقى بالمخرج الفلسطيني رشيد المشهراوي، ابن غزّة، عامَ ١٩٩٠، فدعاه هذا الأخيرُ إلى العمل معه مساعداً. وكانت هذه فرصتَه الذهبيةَ التي انتظرها، فتحوَّل منذ ذلك الحين إلى الإخراج.

أفلامه هي: «الناصرة ٢٠٠٠» و«عرس رنا» و«فورد ترانزيت.» آخر أفلامه هو «الجنة الآن» الذي حظي بجوائز عالمية أهمُّها «الكرة الذهبية.» وكان مرشّحًا لنيل الأوسكار عام ٢٠٠٦.

مع المخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد كان لي هذا اللقاءُ المشوِّق في أحد مطاعم غرب هوليوود.

(لوس آنجلوس، أواخر نيسان ٢٠٠٧)

الطفولة والسينما

*** كيف بدأتْ قصةُ هاني مع السينما؟**

ـ علاقتي بالسينما بدأتْ عندما كنتُ في السابعة تقريبًا. كان خالي سمير حامد يأخذنا كلَّ يوم أحد إلى السينما، فنحضر فيلميْن دفعةً واحدة. لم يكن لدينا حينها تلفزيون كان أولُ ما رأيتُ صورًا في السينما. شعرتُ بالسِّحر. في أحد أفلام الكاوبوي اعتقدتُ أنّ الأحصنة ستَخْرج من الشاشة، فاختبأتُ تحت الكرسي من شدّة الخوف وبكيتُ. بعد عودتي إلى المنزل رجعتُ إلى السينما التي كانت قريبةً منه، ودرتُ حولها أبحث عن الأحصنة!

منذ اللحظة الأولى كان لديّ شعورٌ بالرهبة والحب لقد أثّرت السينما فيّ. كنّا نصرخ فيها حين نرى فريد شوقي «وحشَ الشاشة.» كانت الأفلام تبدأ من الساعة الواحدة وتنتهي عند الخامسة، لكنّنا كنّا نأتي قبل العرض بساعتين، ومن جميع الحارات تبدأ المصارعةُ والقتال بين الأولاد نتعارك مَنْ يقف قبل الآخر من أجل أن يَحْجز المقاعدَ الجيدة. كنتُ من حارة الميدان، وكانت الحارة الشرقية دائمًا تتغلّب وكنتُ دائمًا أكلُ «قتلاً »

*** سينما ديانا؟! كنا نَسْمع عنها في القرى التي لم تكن السينما موجودةً فيها. لاحقًا، عندكم في الناصرة نفسها، أُغلقت السينما.**

ـ نعم. لقد تحولّت السينما إلى سوبرفارم للأسف آخرَ الثمانينات. كانت هنالك سينما أخرى في الناصرة تحولّتْ إلى مركز الحزب العربي، ومنذ بضعة أشهر فقط تحولّتْ إلى مسرح.

*** هل كانت التذاكرُ متوفّرةً للجميع؟**

ـ كانت غالية. وكنّا نجمع ثمنها طوالَ الأسبوع من مصروفنا اليومي

*** رغم حبك للسينما، فقد درستَ موضوعًا آخر.**

ـ أهلي رفضوا تمويلي لدراسة السينما. حينها، حصلتُ على منحةٍ تشترط قبولي في أحد المواضيع العلمية.

أنا من عشّاق المغامرات، والسينما مبنيةٌ على الخيال والمغامرة وكانت السينما أقربَ إلى شخصيتي من الهندسة، المبنيةِ على معادلاتٍ نتائجُها محدّدةٌ مسبّقًا كنتُ أعشق السينما أكثرَ بكثيرٍ من قاعة المحاضرات ولم تنقطع علاقتي بالسينما ثمّ شعرتُ بأنّي في حاجة إلى التعبير عن نفسي حين مررت بحالةٍ نفسية صعبة؛ فقد أحببتُ امرأةً رفضتني أنتِ تعبِّرين بقصيدةٍ من الكلمات، وأنا شعرتُ أنّي أريد أن أعبِّر عن طريقِ عملِ فيلمٍ، أن أجعلها تندم!

*** لكنّها لم تندمْ، على ما أتصوّر؟**

ـ كلا. بل تبجّحتْ بأنّها رفضتني!

*** ماذا كان ردُّ فعل عائلتك على تركك مهنتك وتحوُلك إلى الإخراج؟**

ـ في البداية صُدموا لم يكونوا راضين أن أترك عملي كمهندس ذي راتب عالٍ ومكتب. كان غريبًا جداً أن أترك كلَّ هذا لأعملَ مساعدًا في فيلمٍ وثائقي كانوا يتدخّلون، ولكنّهم لا يَفْرضون رأيَهم لم تكن لهم سيطرةٌ عليّ.

*** لماذا لم تتجه إلى التمثيل بل إلى الإخراج؟ ألم تُرِدْ أن تصبح وحشَ الشاشة كشوقي؟**

ـ عازفُ العود يشعر أنّه قريبٌ إلى العود، لا البيانو هذا شعور داخلي لم أفكِّر في التمثيل أبدًا لأنّي فهمتُ بسرعة أنّ ما وراء العمل أهمُّ وأشدُّ إثارةً: شيء غامض لا وجه له المُخْرج هو الشخصية الأساسية في الخلف، ولهذا كان اختياري للإخراج

*** يعني أنّ الإخراج هو حلمك الأول؟**

ـ حلمي الأول كان أن أصير فدائيّاً لا مُخْرجًا. تربّيتُ في بيت شيوعي عمي حسين أبو أسعد من مؤسسي حزب الواو في الناصرة (الحزب الشيوعي). المعضلة التي لم أستطع فهمَها هي كيف

أحببتُ امرأةً رفضتني، فأردتُ أن أجعلها تندم عن طريق عملِ فيلم!

استطاعت عائلتي المعاديةُ للصهيونية أن تكون في حزب الدولة. اليومَ أفهمُ هذا؛ فتبنّي خطّ جورج حبش كان سيرمي بالمرء في السجن. ذلك [أي الانخراط في الحزب الشيوعي ـ الآداب] هو أقصى ما يُسمح به على السطح.

*** في اجتماعات الحزب في بيتنا الشيوعي أيضًا كان يُرفع علَمان: العَلَم الأحمر وعَلَمُ إسرائيل. في مظاهرات واحتفالات أول أيار، أذكر أنّي رفضتُ رفعَ العلم الإسرائيلي رغم صغري. هل تجربتك مماثلة؟**

ـ علمُ إسرائيل عند البعض كان يُرفع للتمويه فقط. طبعًا، البعضُ قَبِل وجودَ إسرائيل كدولةٍ لليهود، وقَبِلَ وجودَنا فيها كأقلية. ذهبتُ مراتٍ عدةً لاجتماعات الحزب. لم تلائمني. أنا لم أنتمِ أبدًا إلى الحزب، ولم أشاركْ في حياتي في عملية التصويت. أنا لا أنتمي إلى أيّ حزب. أنتمي إلى فلسطين. أرفض رفعَ العلم الإسرائيلي ولو من أجل التمويه. أنا فلسطيني، وعندما أدخل إلى الولايات المتحدة أعبِّئ في بطاقة الدخول اسمَ فلسطين. تغييرُ اسمها لا يغيِّرها بالنسبة إليّ.

إذا نجح الفيلم في فتح نقاش وطرح أسئلة، فيمكن القول إنّه فيلم ناجح

أنت وهوليوود

*** أين كنتَ قبل هوليوود وقبل نجاح فيلم «الجنة الآن»؟**

ـ عندما عملتُ على الفيلم كنتُ في هولندا. كان مركزي بين هولندا وفلسطين. هوليوود اشترت الفيلمَ بعد تصويره. أمضيتُ أربع سنوات في التحضير، وعامًا آخر في التصوير. لم أتصوّر أن يقبلوا عرضَ الفيلم بسبب خوف الكثيرين من الحركة الصهيونية. النجاح شيء نسبي. إذا نجح الفيلمُ في فتحِ نقاشٍ وطرحِ أسئلة، فيمكن القول إنّه فيلم ناجح.

*** حادثة القتل في جامعة «فرجينيا تك» أشارت إلى هوليوود مَصْدرًا للعنف، ولكنّها أشارت أيضًا إلى العنصرية في التعامل مع غير الأميركيين. إلى أيّ مدًى وجدتَ العنفَ والعنصريةَ في هوليوود؟**

ـ في هوليوود يعيشون بعيدًا عن كلّ شيء اسمُه واقع. لم أشعر بالعنصرية تجاهي. لم أقابلْها بعد. مرةً واحدةً التقيتُ في حفلةٍ مع منتجٍ صهيوني قلت له على الملإ إنّه عنصري ولم أرد التحدثَ معه، فهو غيرُ

مؤمن بأنّ لدينا الحقّ نفسَه، ويرى أنّنا من ثقافة دونية. أنا لا أتعامل مع هذه الأنماط. هم لا يَدْعونني، وأنا لا أحتكّ بهم. في هوليوود يعيشون في قوقعة؛ هذه مدينةٌ كاملةٌ مبنيةٌ على صناعة السينما

في هوليوود الكل يعيش في غربة جزء كبير منهم شغلُهم الشاغلُ كيف يوقِفون دورةَ الحياة عن طريق عمليات التجميل والتنقل من قصة إلى أخرى غير أنّ هذا ليس ما يريدونه في الحقيقة؛ فالإنسان، في رأيي، يسعى إلى الاقتراب من نفسه ومحيطه. الاستهلاك العبثي فُرضَ عليهم فرضًا؛ لذلك معظمُهم محبطون. في هوليوود لا توجد حميميةٌ ولا قرب. كل شخصٍ مشغولٌ بنفسه كصورة للخارج، لا كفردٍ في المجتمع.

*** هل جعلتك هوليوود مليونيرًا؟**

ـ جعلتني «مديونيرًا»! ربما في المستقبل سأصير مليونيرًا! أشعر أنّي غني لأنّي أعيش حياةً لا تحتاج الكثيرَ من المصاريف.

الناصرة

*** ماذا تعني لك الناصرة؟ هل تأثّرتَ كثيرًا عندما كُرِّمْتَ فيها؟**

ـ لقد احتُفِيَ بي في بعض دول العالم العربي بشكلٍ فاخرٍ وفخم، وبإرسال طائراتٍ وليموزينات. الاحتفال في الناصرة كان أقلّ فخامةً، ولكنّني تأثّرتُ في الناصرة أكثرَ من أيّ مكان آخر. لا يهمّ كم أذهب وأعود. فقط في الزيارة الأخيرة عرفتُ ماذا تعني لي الناصرة: إنّها البيت. رغم كل السلبيات، لا يزال فيها خير

*** هل فكّرت حينها في والدك؟**

ـ لم يفطنْ أحد إلى أن يسألني هذا السؤال. نعم، كنتُ متأثِّرًا بشدة في تلك اللحظة، وكان لفقدان أبي وعدم وجوده معي في ذلك اليوم الأثرُ الكبير. كان ذلك صعبًا جداً عليّ. تمنّيتُ وجوده. أبي لم يَخَفْ أبدًا من السلطة وقوةِ السلطة توفّي وكنتُ في الخامسة والثلاثين من عمري. كنتُ في هولندا حينها ولم أره وهو يموت أو وهو ميت. كان قد دُفِنَ حين وصلتُ الناصرة.

أنتمي إلى فلسطين، وأرفضُ رفعَ العلم الإسرائيلي ولو من أجل التمويه

«الجنة الآن»

*** هذا الفيلم أقرب إلى وصف حقيقة من كونه فيلمَ إثارة. والممثلون تماهَوْا مع الشخصيات وكأنّهم حقيقةً ذاهبون إلى تنفيذ العملية [ضدّ الإسرائيليين]. هل قابلتَ أشخاصًا في طريقهم إلى تنفيذ عمليات، فيساعدك ذلك في عمل الفيلم؟**

ـ لم أستطع الوصولَ إلى الانتحاريين. الانتحاري هو، فقط، مَنْ لَبِسَ الحزامَ وضَغَطَ على الزرّ. قليل منهم كما أعتقد، ثلاثةٌ فقط، لم يموتوا بعد ضغط الزرّ، وهم الآن في السجون الإسرائيلية قابلتُ محاميَ واحدٍ منهم طبعًا كنتُ أتمنّى أن ألتقي الانتحاريَّ نفسَه، ولكنّي لم أُفلح.

*** لماذا الفيلم بدون موسيقا؟**

ـ الفكرة كانت عملَ فيلم إثارةٍ بأقلِّ قدْرٍ من الاصطناعية. تجربة جديدة في قالب جديد. ملايين الدولارات تُصرف على أفلام الإثارة والتفجيرات والقنابل حتى نصل إلى الهدف أما أنا فحاولتُ الوصولَ إلى الهدف نفسه من دون الحاجة إلى كلّ هذا. ولهذا أعتقد أنّ استوديوهات هوليوود تريد العمل معي.

*** يمكن القول إنّك حاولتَ، في فيلمك هذا، إيجادَ أعذارٍ للعملاء؟**

ـ لم تكن وظيفةُ هذا الفيلم إيجاد أعذار. لكنْ، من باب الحديث، فإنّ من بين العملاء أنفسهم هنالك بعضُ المغلوبين على أمرهم ممّن فَصلوا بين شعورهم الداخلي من جهة، وحاجاتهم اليومية إلى الخبز والبقاء من جهة ثانية.

الطريق بين القدس ورام الله تعلّم كثيرًا. أثناء الانتفاضة الثانية (اندلعتْ أواخرَ أيلول ٢٠٠٠)، أُوقِفْنا على حاجز قلنديا لمدة ساعتين. كنّا عدة شباب في الحرّ، وجوهُنا إلى الحائط، من دون أن نستطيع القيامَ بأيّ شيء. أيةُ حركة قد تكلِّفكَ حياتَكَ. فهمتُ حينها أنّ خوفَ الشخص على حياته يُشْعِره

بالجُبْن. حبُّ الحياة يحوّل المرءَ إلى عاجز. إنّه شعورٌ بالعجز والانكسار. نوعٌ من الكراهية حيال هذا الجُبْن. عندما لا تكون هنالك طريقةٌ للتخلّص من الجُبْن، تتمّ عمليةُ التفجير، ليقول الشخصُ لنفسه «أنا لستُ جبانًا. وأكثرَ من ذلك، إنّ مَنْ حوّلني إلى جبان عاجزٌ سأحوّله بالمقابل إلى عاجزٍ لن يستطع أن يحميَ نفسَه.»

مرَّ حوالى أسبوع على تعرّضي للإهانة على الحاجز عندما فهمتُ بالضبط ماذا يحدث. لماذا لا يفجِّر الجميعُ أنفسَهم؟ أنا عندي طرق بديلة: أصنع أفلامًا. آخرون عندهم طرق بديلة: المقاومة بطرق أخرى. بعضهم قد يصبحون عملاء؛ عندما لا تكون هنالك طرقٌ بديلة، فهذا ما يحصل. والطرق البديلة، للأسف، ليست متاحةً للجميع

*** هذا ما جاء على لسان سعيد. هل سعيد هو أقربُ الشخصيات إليك في «الجنة الآن»؟**

ـ سعيد هو بعضُ تجربتي في الضفة الغربية، لما فيها من إهانة يومية الفيلم يَطْرح أسئلةً أكثرَ مما يجيب عنها. هو لا يعطي شرعيةً لأيِّ شيء. المقاومة لا تحتاج إلى شرعية لتأخذها من فيلمٍ أو أيّ

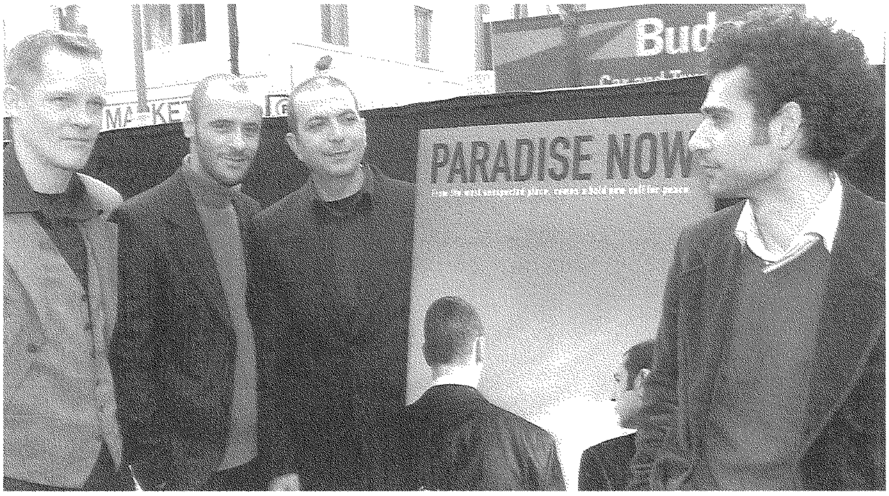

«سعيد» هو بعض تجربتي في الضفة الغربية لما فيها من إهانة يومية

مكانٍ آخر. في الفيلم تعيشين تجربة تجعلك تتماثلين مع الشخصيات: تجربةً تساعد على فهم أكبر للأشياء. يبقى أنّ لكلِّ شخص قراءتَه للفيلم. لا يوجد بحثٌ ميدانيٌّ لمدى تأثير الفيلم على أرض الواقع. الفيلم السيء يسيء فقط إلى صنّاعه. اسأليني الآن مَنْ أكثر الشخصيات كرهتها؟!

*** أسأل فيجيب:**

سهى. سهى هي أكثر شخصية غير مثيرة من ناحية درامية. وقد قصدتُ هذا بالطبع ولكنّها شخصيةٌ واقعية، موجودةٌ في الضفة، تمثِّل الخطابَ الاستعلائي. قد يبدو للبعض أنّه خطابٌ عقلاني، ولكنّه خطابٌ من الصعب تحريكُه الخطاب المثير هو المتطور المتغير الذي يتفاعل مع محيطه. الخطاب الصامت هو خطاب سهى؛ إنّه خطاب سطحي وهذا الخطاب لا زال موجودًا وسيظل موجودًا. لقد طرحتُ عدة خطابات. أنا لا أحبّ أن أحتقر خطابَ الآخر ولا أن ألغيه؛ فهو يُحكى يوميّاً في فلسطين. ولكنْ، من ناحية أخرى، الخطاب يَفْضح نفسَه ودرجةَ سطحيته

*** وأكثر شخصية أحببتها؟**

ـ أكثر شخصية أحببتُها هي شخصية جمال (القائد الذي يحضِّر الشابَّيْن لتنفيذ العملية) لأنّه الشخصية التي تحوي الصراعَ بين ما تفعله وبين ما تَشْعر أو تفكّر به. هذا ما رأيتُه على أرض الواقع. هؤلاء الذين يُرسِلون الشبابَ لتنفيذ العمليات يقمعون شعورَهم العاطفي، يَفْصلون بين الأشياء. صراع مرعب أن تجهِّز شخصًا بحزام ناسف تَعْرف أنّه سيحوِّله إلى مليون ونصف قطعة. إنّ «المجهِّز» كالطبيب الذي يقوم بالعمليات ولا يَنْظر إلى الجسد أمامه من منطلقٍ عاطفي.

*** هل اختيارك فقط لممثّلين من فلسطينيي الداخل مقصود؟ هل يعود ذلك إلى أنّ فُرَصَهم أقلُّ من غيرهم في الظهور على العالم، فأردتَ أن تعطيهم هذه الفرصة؟**

ـ اخترتُهم لأنّهم كانوا قريبين منّي من المكان نفسه

هاني أبو اسعد والعالم العربي

*** تَلْقى الحفاوةَ والتكريمَ والاحتضان في البلدان العربية. ولكنْ ما زال الفلسطيني العادي ملاحَقًا ومشبوهًا في المطارات العربية، وممنوعًا من الدخول إلى كثير من الدول.**

ـ طبعًا دائمًا أفكّر في هذا، وأنا جزءٌ من هؤلاء المستضعفين. يُحتفل بكِ على حساب قهرهم ثمة انفصام في العالم. إنّه عالمٌ غير حقيقي عالمٌ مبنيٌّ على وهم كبير لا توجد فيه علاقاتٌ حقيقية. من جهة أخرى، الكثير من الناس في العالم العربي ينتقدون عالمهَم ومستاؤون من أوضاعهم. يبقى أنّ العالم العربي، مع كلّ مساوئه، صحّيٌّ أكثرَ من العالم الغربي. صحيح أنّ الأنظمة قمعية، ولكنْ في المجتمع العربي ما تزال هنالك علاقاتٌ إنسانيةٌ يفتقدها الغرب.

العالم العربي، مع كل مساوئه، صحّي أكثرَ من العالم الغربي

*** ألا تعتقد أنّ هذا تسطيحٌ للغرب والشرق معًا؟**

ـ نعم. يوجد تسطيح. الوضع طبعًا أعقدُ من ذلك، وهنالك أصلاً إشكاليةٌ في المصطلحيْن نفسهما [الغرب والشرق] لكنْ، ولو من باب التسطيح، فإنّ الإنسانية في الغرب أصبحتْ سلعةً ذاتَ ثمن. أُعطيكِ مثالاً صغيرًا لما يحدث في الغرب ويستحيل أن يحدث عندنا شخص احتاج دخولَ الحمّام في مكانٍ عامّ. يقولون له لا، مع أنّ هذا احتياج إنسانيٌّ أساسي. أرى أنّ المجتمعات الغربية تسير نحو تدمير ذاتي وتخريب للطبيعة بل وللعالم. التصحيح عملية غير جارية في «الغرب» لمنع تدمير الطبيعة والإنسان ونتائج هذا ستكون كارثية

*** ما تجربتُكَ في الإخراج في العالم العربي؟**

ـ لا تجربة لي بعدُ في العالم العربي. بعضُ الشركات في الدول العربية عرضتْ عليَّ. مصر، أبو ظبي، دبي جيد أن تكون لي تجربة في هوليوود قبل ذلك، لكنّي أريد أن أُكمل في العالم العربي.

*** رغم تصدُّر القضية الفلسطينية ضميرَ الفنانين العرب، في الشعر والرقص والصورة، فإنّ فلسطين لم تقدِّمْ بعدُ كثيرًا في الإبداع السينمائي والتلفزيوني. لماذا هذا النقص والكسل في التحرك على هذه الجبهة بالذات؟**

ـ لأنّ السينما تحتاج إلى مصاريف هائلة المملكة الأردنية (يشدّد على أنّها مملكة) وحدها الآن تعمل على إخراج أول فيلم سينمائي لدى الفلسطينيين عوائق أكثر ليس توفّر المادة هو المطلوب وحده في الحقيقة؛ فالسينما تحتاج طاقةً جسديةً فوق الطاقة الفكرية. لقد جرّبتُ العملَ في الماضي في حقل البناء. إنّه عملٌ شاقّ. اليومَ، في السينما، أعمل من الخامسة صباحًا حتى الحادية عشرة مساءً. إنّه جهد جسدي... وذهنيٌّ أيضًا.

أنا متفائل بالجيل الجديد. أعتقد أنّهم سينتجون أفلامًا مثيرة. إنّه جيل متحمِّس ولديه الموهبة والدافع الداخلي

الهوية

*** انت تحمل الجنسية الهولندية. إلى أيّ مدًى كان هذا الأمر عاملاً في تسهيل تحركك الفني والعامّ؟**

ـ أنا لا أتصوّر كيف كانت حياتي ستكون بجواز واحد فقط. لا شكّ في أنّ جواز سفري الهولندي ساعدني في دخول دول عربية كثيرة لم أكن لأستطيع دخولَها بالجواز الآخر.

*** ماذا يعني لك أنك مواطنُ إسرائيل، أو حَمَلَ الجوازَ الإسرائيلي؟**

ـ أنا مواطنُ فلسطين! أنا أحمل الجوازَ الإسرائيلي، ولا أقول إنّي أحمل الجنسية الإسرائيلية الجواز هو مجردُ وثيقةٍ للدخول أو الخروج من البلاد إسرائيل هو اسم فلسطين العبري هذا لا يُلْغي

فلسطين. أنا لستُ يهودياً. بالنسبة إليّ هذه المسألة واضحة: نحن لا نزال تحت احتلال ما دامت الدولةُ تعتبرنا، نحن السكانَ الأصليين، تهديدًا ديموغرافياً أو أمنياً. الدولة «الديموقراطية» هي دولةُ احتلال.

*** وهل تريد حملَ الجواز الأميركي؟**

ـ لا.

*** تمّ عرضُ «الجنة الآن» في «السينما تيك» في تل أبيب. هل كنتَ حاضراً، وماذا كان الوضع هناك؟**

ـ كنتُ مرةً واحدةً في تل أبيب. كنتُ خائفًا. أتيتُ في نهاية الفيلم. تملّكني شعورٌ غريب كان هنالك فترةُ سؤالٍ وجوابٍ بعد عرض الفيلم. حادثتان استوقفتاني. الأولى عندما أتى إسرائيلي وقال لي إنّ مشاهدة الفيلم كانت صعبةً جدّاً عليه؛ فحين تماثَلَ مع شخصية سعيد وأراد أن ينجح سعيد في عمليته، تذكّر أنّ نجاحَ العملية يعني تدميره هو، فأحَسَّ بصراعٍ داخلي! الحادثةُ الثانية هي عندما رأيتُ امرأةً تخرج من الفيلم وهي تبكي بشدّة. خفت

إسرائيل ترى في عزمي بشارة تهديدًا لها، ولذلك تسعى إلى تصفيته

*** كيف كان الحضور؟**

ـ كان حضورًا كبيرًا. شعرتُ بالغضب في عيون بعضهم لكنّهم لم يقولوا شيئًا ربما كانت تلك هي رهبةَ الترشيح للأوسكار. أنا الأوسكار لا يهمّني. لم أتربَّ على الأوسكار. ولكنّ الأوسكار بالنسبة إلى الإسرائيليين أهمُّ شيء، لأنّهم يروْن أنفسَهم جزءًا من الثقافة الأميركية أكثر مما يرى الأوروبيون أنفسُهم ذلك. شعرتُ أنّ الأوسكار حماني من بعضهم

عزمي بشارة، وفلسطينيو الداخل، والفصائل

*** تابعتَ الهجمةَ الأخيرة على د. عزمي بشارة، قائد «التجمع.» ماذا شعرتَ؟**

ـ هذا دليل على أنّ إسرائيل تعاني الإفلاسَ، ولاسيّما بعد فشلها في الحرب الأخيرة [على لبنان] من ناحيةٍ أخرى لا يمكن النضالُ من دون دفع الثمن. أثناء الحرب الأخيرة تضامن العديدُ من الفلسطينيين في تل أبيب ضد الحرب وحده «التجمع» حملَ الأعلامَ الفلسطينية، بينما طالب بعضُ

النوّاب العرب في الكنيست بإنزال العلم الفلسطيني خوفًا! غير أنّ الخوف لا يحقّق نتائجَ ولا تحرُّرًا.

عزمي هو قائد مقبول من شرائحَ كثيرةٍ في المجتمع الفلسطيني في الداخل والخارج. «حماس» غير مقبولة من العلمانيين. و«فتح» لا تطرح بديلاً، وخطُّها أثبت فشلَه. فماذا تبقّى؟

إسرائيل تعي ذلك، وترى في بشارة تهديدًا لها، ولذلك تسعى إلى تصفيته.

في كل حركة تحرر، هنالك تضحية. هؤلاء [الحكّام الإسرائيليون] زعران قد يفعلون أيَّ شيء هم في أزمة. هم أشبهُ بالضباع. ولكنْ من يريد أن يتحرّر، فعليه أن يكون مستعداً لجميع الاحتمالات.

*** نَشْهد تحركًا غيرَ مسبوق لفلسطينيي الداخل في حملات إعلامية ثقافية سياسية نحو الخارج. الفلسطينيون يخترقون الحصار الذي فُرض عليهم منذ النكبة.**

ـ هنالك حاجةٌ كبيرةٌ إلى التعبير أغلبُ المُتاح هو عن طريق الثقافة والكتابة، وهنالك هامش من العمل السياسي عندما تجتمع الحاجةُ والقمعُ، فإنّهما يخلقان إبداعًا.

*** تابعتَ من هنا الحربَ الأخيرةَ على لبنان، وأثرَ سقوط الكاتيوشا على الناصرة. كيف تفاعلتَ مع الحرب؟**

ـ أثناء الحرب سقط صاروخُ كاتيوشا على بعد ٤ أمتار بالضبط من بيتنا. رغم ذلك لم تحصل لديّ أيّةُ بلبلة في مشاعري ومواقفي. بالنسبة إليّ كان صعبًا وجودي هنا في ظلّ هذا الإعلام البعيدِ عن أية موضوعية. كان مزعجًا أن أوجد في مكانٍ له موقفٌ مسبّقٌ عدائي من حركة تحرُّرٍ [المقصود: المقاومة اللبنانية ـ الآداب]. بُعدي عن المكان أدّى إلى قلقٍ كبيرٍ في نفسي. خفتُ على اللبنانيين أكثرَ بسبب الهمجية الإسرائيلية المرعبة. تمنيتُ أن أكون في بلَدي وقت الحرب، لا بعيدًا عنه.

الخوف لا يحقّق تحرّرًا، وعلى من يريد التحرّر أن يستعدّ لجميع الاحتمالات

مشاريع جديد

*** ما هي مشاريعك الجديدة؟**

ـ أعمل حاليّاً على تطوير مشاريع عدة، ولكنْ ليس أيٌّ منها جاهزًا للتصوير بعد، ولستُ راضيًا تمامًا عن أيّ سيناريو. أعتقد أنّني في أيلول القادم سأبدأ التحضيرَ لأحد الأفلام. يحتاج هذا عامًا تقريبًا. السيناريو الذي أعمل عليه لا دخل له بفلسطين، ولكنّه يتعلق بالسياسة.

أحاول أن أصنع أفلامًا. النجاح شيء نسبي البعض يعتقد أنّي وصلتُ إلى شيء كبير، أما أنا فلا أشعر بذلك. نجاح الفيلم قد يساعد في أن أحقّق مشروعًا في هوليوود

*** كررت في لقاءات عدّة أنّك لا تؤْمن بأنّ الفن يغيّر؟**

ـ أنا لا أعمل فنّاً من أجل التغيير الفن وصناعة الأفلام محاولةٌ للخلاص مما في داخلي من إحباطات عاطفية واجتماعية وسياسية. عندما أنظر حولي لا أرى أنّ الواقع تغيّر في شيء. الاحتلال، الفقر، الاستغلال، ما زالت على حالها. الفيلم لا يغيّر

*** عندما تنظر إلى الوراء، إلى ما حقّقْته، هل أنت راضٍ؟**

ـ (يهزّ رأسه) كلا. أنا لا أشعر بالنجاح. لكنّ طريقي إلى إحباطٍ أقلّ تكون عن طريق صنع الأفلام نحن لسنا مستقلين في حياتنا. كل شيء مرتبط بالسياسة، بما في ذلك الحب. شعبنا تحت الاحتلال يعيش في سجنٍ كبير كلُّنا تحت الاحتلال. خالتي لاجئةٌ في سوريا لا تستطيع العودةَ إلى الناصرة. إحباط يومي. العالم السياسي الاقتصادي يدمّر كلَّ شيء جميل من حولنا. يوجد استعلاءٌ على المستضعفين. أحزن عندما أرى الناصرة. لا أذهب إلى أيّ مكانٍ إلاّ وأجدُ أنّ الحياة العصرية قد دمّرتْه خدمةً لفئة واحدة. أهمُّ شيء في نظري هو أن يشعر الإنسانُ بقربٍ بينه وبين محيطه كلّما اغترب الإنسانُ عن محيطه، شَعَرَ بإحباطٍ أكبر.

لوس آنجلوس